المجمع **11** (2016/1438)، 87-103

التنازل عن القدس وتسليمها للصليبيين من قبل السلطان الأيوبي الملك الكامل

خليل عثامنة*

تلخيص:

تتركز هذه المقالة بشكل خاص فيما حدث في فلسطين ومدينة القدس خاصة في حقبة زمنية قصيرة لا تزيد على عشرين عامًا تنازل فيها بعض حكام الأسرة الأيوبية عن مدينة القدس وسلموها مرتين هدية مجانية للصليبين في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي.

فقد تنازل حاكم مصر الأيوبي الملك الكامل، ابن اخي السلطان صلاح الدين الأيوبي، وسلّم مدينة القدس طوعًا وبملء ارادته، وقدمها هدية سائغة لزعيم الإمبراطورية الرومانية المقدسة، الإمبراطور فرديريك الثاني، الذي غزا المشرق الإسلامي قائدًا للحملة الصليبية السادسة، وذلك سنة 1229 للميلاد.

فكرة التنازل عن القدس كيف نشأت:

نبعت فكرة التنازل عن القدس وتسليمها هدية للصليبيين عند الملك الكامل حاكم مصر الأيوبي ردًّا على المطامع التوسعية لأخيه المعظّم عيسى ملك دمشق، الولاية الأكبر في بلاد الشام، التي كانت تمتد من العريش جنوبًا وحتى الأطراف القصوى لإمارة حِمص شمالًا. وتجسدت المطامع التوسعية للمعظم عيسى عندما استولى على بلدتي السَّلَمية ومَعَرَّة النعمان، وحاصر مدينة حماة تمهيدًا لإلحاقها بمملكة دمشق آنذاك. فما كان من الملك الكامل، ملك مصر، وبدعم من أخيه الملك الأشرف موسى، ملك الولايات الشرقية التابعة لدولة بني أيّوب، إلاّ الاعتراض على خطوة الملك المعظّم وأرسل اليه يأمره أن يتراجع عن خطوته وأن يترك مدينة حماة وشأنها.

شقَّ هذا الأمر كثيرًا على نفس المعظم عيسى، وحمله غضبه على أخوية على التواصل مع الخليفة العباسيّ في بغداد نكاية بهما. بل إنه لم يكتف بهذا القدر من ردَّة الفعل الغاضبة، فأتبع ذلك برسالة بعثها إلى السلطان جلال الدين ابن خوارزم شاه، ملك المشرق، يطلب منه العون ويعده بإعلان الولاء له ومحالفته، فرحّب السلطان جلال الدين بذلك وعجّل الاستجابة لمطالب المعظّم عيسى.

* أكاديمية القاسمي.

أيقن الملك الكامل بخطورة ما قام به أخوه وأثار في نفسه القلق، حيث رأى تضافر خطرين كبيرين اجتمعا معًا، أحدهما داخلي تُمَثّله مطامع أخيه التوسعية، وثانيهما خارجي يمثله التحالف الجديد بين أخيه المعظم عيسى وبين ابن خوارزم شاه، هذا العدو المندفع الذي لا تقف أمام مطامعه قوة مهما عظمت، فطفق يبحث عن حليفٍ قادر يستطيع بمحالفته ودعمه التصدي للمخاطر والتهديدات المستجدّة، فسارع إلى الاتصال بالإمبراطور الألماني فردريك الثاني**، رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة عساه يكون له حليفًا، وعرض عليه ان يعطيه مدينة القدس مهرًا بقبوله التحالف معه.[1]

لم يكن التنازل عن القدس، وفكرة تسليمها للصليبيين أعداء المسلمين الألدّاء، فكرة جديدة تفتّق عنها ذهن الملك الكامل، بل كانت فكرة قديمة اختمرت في أذهان الملوك الأيوبيين الثلاثة؛ الكامل وأخويه المعظّم عيسى والأشرف موسى. وقد سبق لهم أن طرحوها على العدوّ ذاته في مناسبة سابقة، وكان ذلك في سنة 618هـ/1221. فبعد أن باءت محاولات الأيوبيين الثلاثة لاستعادة مدينة دمياط من أيدي الصليبيين بالفشل، وبعد أن طوّر المحتلون هجومهم داخل مصر وحاصروا مدينة المنصورة استعدادًا لاحتلالها والانطلاق منها لمهاجمة القاهرة، حينها كثَّف الملوك الأيوبيون اتصالاتهم بقادة الهجوم من الأمراء الأوروبيين لإيقاف القتال وعقد الصلح، مقابل تسليم القدس وغيرها من المواقع التي سبق أن حرّرها السلطان صلاح الدين في فلسطين وسواحل بلاد الشام. وفي هذا لا تدع الرواية التاريخية الإسلامية مجالًا للشك في انعقاد نيّة هؤلاء الملوك لعقد هذه الصفقة، فكتب المؤرخ الكبير ابو الفداء في تاريخه قائلًا: "واشتدّ القتال بين الفريقين، ورُسُل الملك الكامل وأخويه مترددة إلى الفِرَنج في الصلح، وبذَلَ المسلمون لهم تسليم القدس وعسقلان وطبرية، واللاذقية وجَبَلة، وجميع ما فتحه السلطان صلاح الدين من الساحل، ما عدا الكرك والشّوبك على أن يجيبوا إلى الصلح ويُسَلّموا دمياط إلى المسلمين، فلم يَرْض الفرنجُ بذلك".[2]

إن تكرار طرح فكرة التنازل عن مدينة القدس وتسليمها للعدوّ، يدلّ على أن هذه الفكرة قد باتت جزءا لا يتجزأ من سياسة ملوك بني أيوب، يتداولونها فرادى أو مجتمعين، خاصة سلالة الملوك من الفرع العادِلي في الأسرة الأيوبية. وهي فكرة تتناقض جذريًا مع الرؤية السياسية التي أرساها الناصر صلاح الدين الأيوبي مؤسس هذه الأسرة، وهو الذي بذل الغالي والنفيس لتحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين، وصارت في نظره فخرًا للإسلام والمسلمين حرص على عدم التفريط فيها، وكان مستعدًا من

أجل الاحتفاظ بها أن يضحي بكثير من المواقع والبلدات التي استردها حتى من العدو في حربه التحريرية، كما أثبتت ذلك بنود اتفاقية الصلح مع الصليبيين سنة 1192 والتي عُرفت باسم صلح الرّملة.[3]

بل إنها سياسة غير مسؤولة، تنُمّ عن هشاشة المكانة التي تحظى بها مدينة القدس في نفوس هؤلاء الملوك، وبالأحرى فإنها سياسة تعبّر عن الاستهتار الفاضح بالقيم الإسلامية وتؤكد استهانة هؤلاء الملوك بمشاعر أبناء الأمة الإسلامية ومشاعر بقية الرعايا من أهل فلسطين العرب من غير المسلمين، إضافة إلى عدم احتساب النتائج المأساوية التي يتعرّض لها سكان بيت المقدس من جرّاء هذه السياسة.

ومن الواضح أن ملوك الفرع العادلّي الذين ورثوا مُلكهم عن أبيهم الملك العادل أبي بكر بن أيّوب، كانت نفوسُهم مُهيّأةً للتنازل والتفريط حتى بأقدس المقدسات كمدينة القدس على وجه التحديد لصالح الاحتفاظ بكراسيهم التي ورّثهم إياها الملك العادل الذي سبق له أن استولى بالمكر والخديعة والدسائس على ممالك أبناء أخيه، أبناء صلاح الدين، في مصر وبلاد الشام والولايات الشرقية، أي في حوض الفرات الشرقي في منطقة الجزيرة الفراتية وما والاها.[4]

ويبدو أن سياسة التنازل قد تمكنت من نفوس الملوك من أبناء الملك العادل، في مناسبة وفي غير مناسبة، ولا أَدَلّ على ذلك من القرار الملكي الذي أتخذه الملك المعظّم عيسى ملك الشام، حين سارع في إصدار أمرا بإخلاء مدينة القدس من أهلها والشروع في تخريب حصونها وأسوارها وتحصيناتها لمجرّد أن علم باستيلاء الصليبيين على ميناء دمياط في القطر المصري. وكان عذره في اتخاذ هذا القرار، أنه كان يخشى أن يستولي الصليبيون على المدينة إذا ما قصدوا مهاجمتها في المستقبل. وقد أطنب المؤرخون المسلمون في سرد خبر هذه الحادثة وما آلت إليه من تشردّ أهل مدينة القدس وما لحقهم جرّاء ذلك من بؤس وشقاء وجوع ومذّلة وتَشَتُّتٍ في البلدان.[5]

من خلال المواقف التي اتّخذها ملوك الأسرة الأيوبية، الذين ورثوا الحكم عن أبّيهم الملك العادل، يتبين للقارئ المدقّق أن مدينة القدس في نظر هؤلاء الملوك لم تَزِدْ عن كونها مدينة عادية كغيرها من مدن بلاد الشام، وأنّ قداستها الدينية بل رمزيتها الإسلامية لم تكن تعنى لديهم شيئًا. ليس هذا فحسب، فالقدس عدا عن اعتبارها مدينة عاديّة، فهي في نظرهم لم تكن ترقى إلى مستوى فئة الصفّ الأول من مدن هذين الإقليمين؛ فمدينة مثل دمياط كانت تفوق القدس مكانة، وتعلوها فضلًا وتحظى عندهم بالاهتمام والرعاية. والأنكى من ذلك ان المكانة السياسية لهذه المدينة قد تدنّت عندهم حتى صارت

بلدةّ صحراوية كبلدة الكرك أو بلدة الشوبك تفوق القدس أهميةً يحرص الملوك على حفظها والتمسّك بها.

لقد بلغ استهتار الملوك الأيوبيين بمدينة القدس حَدًّا جعلوها معه سلعة معروضة للبيع يساومون أعداء المسلمين على ثمنها.

إتمام صفقة التسليم وما رافقها من ملابَسات:

عندما استنجد الملك الكامل بالإمبراطور الألماني فردريك الثاني وعرض عليه مدينة القدس ثمنًا لقبوله التحالف معه، كان الإمبراطور يمرّ في واحدة من مراحل الصراع المحتدم بينه كمُمثّل للسلطة الزمنية وبين البابا رأس الكنيسة الكاثوليكية في روما، كمثل لسلطة الكنيسة الدينية، حول موضوع السيادة والهيمنة السياسية في أوربّا، وكان هذا الصراع امتدادًا للنزاع التاريخي بين الكنيسة والدولة.

وبسبب ذلك، كان حماس الإمبراطور للخروج على رأس حملة صليبية إلى الشرق فاترًا مقارنةً بحماس من سبقه من ملوك أوربا وأمرائها. وكان هذا الموقف المتقاعِس قد جَرَّ عليه غضب الأوساط الدينية الكنسيّة وعلى رأسها الكرسي البابوي في روما التي لم تَرَ مبررًا لتقاعسه وكانت ترفض الأعذار التي كان يسوقها لعدم الخروج.[6]

فرأى الإمبراطور، بعد أن وصلته رسالة الملك الكامل أن الفرصة سانحة أمامه كي لا يظلّ هدفًا سهلًا للانتقادات اللاذعة التي تُوجّه إليه، وكي ينفي عن نفسه صفة المسيحي العاقّ التي ألصقتها به الكنيسة في روما. ولذلك قرّر أن يخرج على رأس الحملة الصليبية السادسة التي كانت روما قد أَناطتها به. فانطلق من ميناء برنديزي الايطالي يقصد سواحل بلاد الشام، ولكنه ما فَتئ أن عاد أدراجه ولم يمض على خروجه بضعة أيام متذرّعًا بمرض قد أَلَمّ به. ولمّا علم البابا بخبر عودته أعتبر أن رجوعه لم يكن نابعًا من مرضٍ حقيقي بل كان تمارضًا. فأصدر بحقه مرسوم الحرمان البابوي في شهر أيلول سنة 1227م.[7]

لم تَعنِ عودة الإمبراطور المفاجئة إلى قاعدة انطلاقه في جزيرة صقلية، بالضرورة توقّف الحملة الصليبية السادسة، إذ استمرت فرق من قواته التي خرجت تحت قيادته مبحرة في طريقها نحو الهدف، فوصلت طلائعها إلى ميناء عكّا في فلسطين، حيث سبقت التحاق الإمبراطور بها بعدة أشهر.[8] وكان سبب تأخر وصول الإمبراطور فردريك الثاني إلى عكا، أن استئناف انطلاقه في الحملة قد تأخر

لبعض الوقت بسبب ما كان عاناه من المرض الذي جعله عذرًا لعودته من البحر، من جهة، وبسبب تعريجه على جزيرة قبرص قبل عكا، وبسبب قيامه ببعض الإجراءات الإدارية والتنظيمية التي استغرقت ما يقارب شهرين كاملين، منذ أن وصل ميناء ليماسول في الجزيرة في الحادي والعشرين من شهر تمّوز سنة 1228، قبل أن يبحر متوجهًا إلى عكا التي وصلها في شهر أيلول سنة 1228.[9]

كان وصول الإمبراطور إلى عكاّ متأخرًا، إذ وصلها بعد ما يقرب من عام على وفاة المعظّم عيسى الذي توفي في تشرين الثاني لعام 1227، وهو ملك الشام الذي استغاث الملك الكامل بسببه بالإمبراطور الالماني. وبرحيل المعظّم عيسى، فقد زالت مخاطر مطامعه الإقليمية التي كان يخشاها أخوه الملك الكامل. بل انقلب الأمر رأسًا على عقب، حيث باتت مملكة دمشق التي كانت تشكل مصدر تهديد وقلق ملوك الأسرة الأيوبية في حياة ملكها المعظّم عيسى، تنتظر مصيرها المحتوم الذي يقرره الملك الكامل بعد أن صارت تحت رحمته.[10]

وبزوال هذه المخاطر، فقد انتفت حاجة الملك الكامل للدعم الذي كان ينتظره من قبل الإمبراطور الألماني فردريك الثاني، وهو ما جعل الوعد الذي قطعه على نفسه بتسليم مدينة القدس لهذا الحليف المتوقّع، وعدًا عبثيًا غير ذي معنى، فصار من ثَمَّ يبحث عن ذريعةٍ تعفيه من الوفاء بذلك الوعد. حيال هذه المتغيرات أدرك الإمبراطور أنه بإزاء ورطة معقدة لا بدّ له من البحث عن مخرج مشرّف ينقذه منها؛ فهو بالإضافة إلى كونه قائدًا للحملة الصليبية السادسة التي كان أيضًا مغضوبًا عليه بعد أن حلّت به لعنة الكنيسة متمثلة بمرسوم الحرمان الذي أصدره ضدّه البابا. وكان في الوقت نفسه غير قادر على أيّ إنجاز عسكري ميداني بسبب قلة رجاله وضآلة حجم كتيبة الفرسان التي اصطحبها عند الخروج إلى حملته، اضافة إلى انسداد الأفق أمام انضمام محاربين ممّن كانوا آنذاك في فلسطين إلى صفوفه بسبب لعنة الحرمان التي كانت تطارده. ولعلّه ممّا زاد ورطته تعقيدًا، أنه لم يكن يرضى لنفسه أن يعود إلى أوروبا صفر اليدين لئلا يصبح مثار سخرية ومثار تَشَفٍّ من خصومه، فيفقد بذلك كبرياءه كرأس للإمبراطورية الرومانية المقدّسة فتزول هيبته وتتزعزع مكانته فيتجرّأ عليه خصومه الذين يتربصون به.[11]

وإزاء انسداد انفراج الأزمة التي وقع فيها الإمبراطور، لم يبق أمامه إلا أسلوب التذلّل والاستعطاف عَساهُ يُلَيّنُ من مواقف الملك الكامل ويستدرّ عطفه وسرعان ما نجح هذا الأسلوب بالإضافة إلى عوامل أخرى يبدو أن الملك قد أخذها في الحسبان، في إحداث تغيرّ جذري في موقف الملك الكامل، حين وافق

بالتالي على الوفاء بوعده السابق القاضي بتسليم مدينة القدس للإمبراطور الألماني، وهو ما نصّت عليه اتفاقية يافا التي عقدت بين الطرفين في 18/شباط /1229 والتي ظلّت سارية المفعول لعشر سنوات كاملة.[12]

أصداء حادثة تسليم القدس للصليبيين:

رصدت المصادر التاريخية الإسلامية أصداء هذا الحدث الخطير غير المسبوق في التاريخ الإسلامي، فأشارت إلى موجة من السّخط والغضب الممزوج بالأسى والحزن. وتبيّن من خلال التقارير الإخبارية أنّ ردود فعل المسلمين على هذه الفعلة، كانت جزئيّة وكانت محليّة، فلم تتعدّ حدود إقليم بلاد الشام. وذلك على عكس ما حدث في أعقاب سقوط مدينة القدس أثناء الاجتياح الصليبي لفلسطين وبلاد الشام قبل ما يقرب من مائة وثلاثين عامًا من هذا الحدث الجلل.[13] لا بل فإن الاحتجاج لم يشمل ولايات الشام كلّها فانحصر في مدينتين فقط هما مدينة القدس ومدينة دمشق.

وجدير بالتنويه أيضًا أن تلك الاحتجاجات لم تتجاوز الأوساط الشعبية ولم تتعداها إلاّ إلى فئة هامشية من علماء هذين البلدين. وفي هذا السّياق يروي المؤرخ ابن واصل عن والده الذي كان آنذاك مجاورًا في مدينة القدس فيقول: "لّما نودي بالقدس بخروج المسلمين وتسليم القدس إلى الفِرَنْج، وقع في أهل القدس الضّجيج والبكاء، وعَظُم ذلك على المسلمين وحزنوا لخروج القدس من أيديهم وأنكروا على الملك الكامل هذا الفعل واستشفوه منه".[14]

أما رواية المقريزي فتجعل الاحتجاج من نصيب فئة محددّة من علماء أهل مدينة القدس، وتحصره في أَئِمّة المساجد ومؤذّنيها، حيث ذهب هؤلاء إلى معسكر الملك الكامل الذي كان مضروبًا في تلّ العُجول على مقربة من مدينة غزّة، وهناك رفعوا الأذان أمام خيمة الملك وعلى مسمع منه في غير وقت الأذان. وكان ذلك يعني بالضرورة تعبيرًا عن الاحتجاج الصارخ إزاء كارثة مهولة حَلّت بالمسلمين. ثم تمضي رواية المقريزي إلى تسجيل ردّة فعل الملك على هؤلاء المُحتجّين، حيث أنه لم يُلق بالًا لاحتجاجهم، بل عنّفهم وزجرهم وأمر بأن يطردوا خارج معسكره.[15]

وإذا كان الاحتجاج عفويًا وتلقائيًا عند أهل مدينة القدس وعند علمائها، فإن احتجاج أهل دمشق لم يكن كذلك، بل جاء بمبادرة من قبل ملكها، الناصر داود، وكانت مدينة القدس ومناطق فلسطين الأخرى، جزءًا لا يتجزّأ من مملكة دمشق التي ورثها عن أبيه الملك المعظم عيسى.[16] حيث بادر الناصر

داود إلى تسعير نيران الاحتجاج ضد تسليم الملك الكامل مدينة القدس للإمبراطور الألماني، فأوعز إلى واعظ دمشق الشيخ شمس الدين يوسف حفيد الواعظ الشيخ ابن الجوزي، أن يعقد مجلس وعظ في مسجد دمشق يحرّض فيه جمهور المسلمين ضد قرار التسليم فيشحنهم بالغضب فألهبت مواعظه مشاعرهم وسعّرت نيران الغضب في صدورهم.[17]

التحرير الثاني لمدينة القدس:

ظلّت مدينة القدس قابعة في أسر الصليبيين لأكثرَ من عشر سنوات منذ أنْ سُلّمت طوعًا للإمبراطور فردريك الثاني على يد حاكم مِصر الأيوبي، الملك الكامل بموجب الاتفاقية المسّماة بـ"صلح يافا". ولّما أشرف أجلُ الصلح على الانتهاء مطلع سنة 1239 الموافق 637هـ، دعت المؤسسة البابوية في روما إلى حملة صليبية جديدة، غايتها تعزيز قبضة الصليبيين على مدينة القدس. ولاقت هذه الدعوة إقبالًا ملحوظًا لدى بعض الأمراء الأوروبيين، وبخاصة الفرنسيون منهم. ووقف على رأس هذه الحملة الدوق ثيبو الرابع، أمير مقاطعة شامبين الفرنسية حيث وصلت طلائع قواته مدينة عكّا مطلع أيلول عام 1239.[18]

حدث هذا، بينما كان أمراء الأسرة الأيوبية وملوكها في بلاد الشام ومصر، مشغولين بصراعاتهم المزمنة حول السلطة واقتسام النفوذ، وظلوا مسكونين بهواجس التوسع الإقليمي لإماراتهم وممالكهم على حساب بعضهم البعض.[19]

وفي مثل هذا المناخ السياسي غير المستقر، استغلّ صَليبيو الأجزاء الفلسطينية المحتلة، انشغال الأيوبيين في صراعاتهم، وبدأوا بأعمال الترميم لأسوار القدس وأبراجها الدفاعية وقاموا بترميم قلعتها التي سبق وهدمها الملك المُعظّم عيسى بعد احتلال الصليبيين لمدينة دمياط في مصر. وعدا عن كون هذه الترميمات تشكّل خرقًا صريحًا لبنود اتفاقية "صلح يافا"، فإنها في الوقت نفسه، تُعَدّ مؤشّرًا على نيتهم الاحتفاظ باحتلالهم للمدينة وعدم الخروج منها.

وقد تنبّه الملك الناصر داود ابن المعظّم عيسى إلى هذه النِيّة التي يبّيتها الصليبيون تجاه مدينة القدس، عندما وصله نبأ وصول طلائع الحملة الصليبية الفرنسية إلى ميناء عكّا. وكان الناصر داود ملك الكَرَك، أكثر الملوك والأمراء الأيوبيين اهتمامًا بمصير مدينة القدس التي كانت تبعيّتها السياسية مُلقاةً على عاتقه في تلك الحقبة من التاريخ الأيوبي، بعد أن أصبحت القدس وغيرها من المناطق

الداخلية في فلسطين جزءًا من مملكته، مملكة الكرك. ولهذا السبب خرج من الكرك يقود جيشه الصغير، وضرب حصارًا على المدينة دام ثلاثة أسابيع واقتحم المدينة عنوةً وحاصر المقاتلين الصليبيين الذين تحصنّوا في قلعتها حتى القوا بأيديهم واستسلموا له. بعد أن التمسوا الخروج بأمان إلى بلدانهم التي أتوا منها. فقام الناصر داود في إثر ذلك بتدمير القلعة وتحصيناتها، حتى أنه دَمّر برج داود الذي كان أبوه المعظّم عيسى قد تركه سالمًا من قبل. ولم ينصرم شهر كانون الأول من سنة 1240 حتى طُهّرت المدينة من آسريها الصليبيين بعد ما يقرب من أحد عشر عامًا على دخولهم اليها. وأتفق ذلك مع وصول رسول سلطان مصر الشيخ محي الدين بن الجوزي إلى الناصر داود، وكان يصحبه الشاعر ابن مطروح الذي وثّق عملية التحرير بأبيات من الشعر ضاهى فيها بين التحرير الأول الذي صنعه الناصر صلاح الدين وبين التحرير الأخير الذي صنعه الناصر داود، فقال فيها:

المسجد الأقصى له عـادةٌ	سارت فصارت مَثلًا سائِرا
إذا غدا بالكفرِ مُسْتوطنًا	أنْ يبـعثَ اللهُ لـهُ ناصـرا
فَـنـــاصِـــرٌ طَـهـّــرهُ أَوّلًا	ونَـاصِـــرٌ طـهّـرْهُ آخِـــرا

ويبدو ان هذه الابيات هي التي الهمت المؤرخ الفلسطيني المقدسّي، القاضي مُجير الدين الحنبلي حين وثّقَ عملية التحرير هذه تحت عنوان: "الفتح الناصري الداودي".[20]

التفريط بمدينة القُدس سياسة يُكرّسها الأيوبيون:

ظلّت أجواء الصراع سائدةً، وبوتيرة عالية، فيما بين ملوك الأسرة الأيوبية وأمرائها من أبناء الملك العادل، وتركزّت تلك الصراعات بعد رحيل الملك الكامل في رجب/635 للهجرة – أوائل عام 1238، في محورين رئيسيين هما محور دمشق ومحور القاهرة. وتمحورت بالتحديد في الصراع حول عرش مملكة دمشق، وعرش السلطنة في مصر، فكان يتصارع على عرش دمشق الملك الصالح إسماعيل، الأخ الشقيق للملك الكامل الذي ورث عرش المملكة عن أخيه الملك الأشرف موسى، مع منافسه الناصر داود الذي ورث العرش عن أبيه المعظم عيسى قبل أن يستلبه منه الملك الكامل. وكان قطبا الصراع في المحور المصري، محور القاهرة، الأخوين الصالح أيوب والعادل الثاني، ولدي الملك الكامل، منذ أن أقصى ابنه البكر، الصالح أيوب عن عرش مصر وسلمه للعادل الثاني ابنه الأصغر.[21] وكانت الأطراف المنخرطة في كلا المحورين، مسكونةً دائمًا بهاجس الفوز بتحقيق الأهداف التي سعت لبلوغها، دون أن

تقيم وزنًا للصداقات والتحالفات ولا ترعوي عن استخدام شتى الوسائل للوصول إلى ذلك. ولذلك رأيناها سريعة في تغيير المواقف واستبدال الحلفاء.

سير الأحداث ومُسَلْسَل التنازلات:

لما نجح الصالح أيوب بالفوز بعرش مصر، بعد أن عزل أخاه العادل الثاني، بدعم وتأييد من حليفه الناصر داود في حزيران/1240، جُنَّ جنون ملك دمشق الصالح إسماعيل الذي كان يخشى أن ينصرف الحليفان بعد النجاح الذي تحقق في القاهرة إلى تنفيذ خطّة الاستيلاء على عرش دمشق التي اتفق عليها "حلف الصخرة" الذي عقداه في القدس بُعَيد تحريره من قبل الناصر داود.[22] دفعت هذه الخشية الصالح إسماعيل إلى التوجّه للصليبيين في عكاّ طالبًا دعمهم ضِدّ ابني أخويه، الصالح أيوب والناصر داود، على أَمل أن يُحبط خطتهما في الاستيلاء على عرش دمشق. وإغراء للصليبيين، بل تحفيزًا لهم على الاستجابة لطلب العون الذي قدَّمه، فقد عرض عليهم أن يُسَلِّمهم مدينة القدس، بل أبدى لهم استعداده لقبول أن تعود دولتهم، مملكة القدس اللاتينيّة، إلى حدودها السابقة، قبل أن تتقلّص وتنكمش من جراء فتوحات الناصر صلاح الدين التي حدثت بعد انتصار حطّين.

ولكي يدلّل ملك دمشق، الصالح إسماعيل، على إخلاص نواياه وصدق وعوده، بادر إلى تسليمهم مدن القدس وطبرية وعسقلان، بالإضافة إلى تسليمهم قلعة صفد وأعمالها، وتنازل لهم عن نصف عشور صيدا وجبل عامل وأعمال الساحل.[23]

أثارت تنازلات الصالح إسماعيل عن القدس وعن المدن الفلسطينية الأخرى موجة جديدة من الاحتجاجات عند مسلمي أهل الشام، وانبرى نفرٌ من كبار علماء دمشق وفقهائها للتنديد بهذه الفِعلة، وكان من أبرز هؤلاء قاضي بلاد الشام وفقيهها الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام الذي أكثر من التشنيع على هذا الملك الذي بالغ في التفريط في أوطان المسلمين. ولم تقتصر ردود الفعل الغاضبة ضد هذه الخطوة على الفقهاء فحسب، بل تعدّتهم لتشمل شرائح أخرى من جمهور المسلمين حيث وصل الأمر إلى حَدِّ تمردّ بعض عساكر الصالح إسماعيل الذين أُرسلوا لمهاجمة المصريين مدعومين بحلفائهم الصليبيين، حيث ضموا سيوفهم إلى سيوف عساكر مصر وقاتلوا جنبًا إلى جنب عساكر الفرنجة من الصليبيين، تعبيرًا عن ذلك العنف والاحتجاج.[24]

لم ينعكس نجاح الصالح أيوب في الاستيلاء على عرش مصر على قرار الصالح إسماعيل في اتخّاذ قراره المتطرّف الذي أدّى به للتحالف مع الصليبيين فحسب، فكان من تداعيات ذلك النجاح أيضًا، حدوثُ التصدّع في ما عرف "بحلف الصّخرة" الآنف ذكره. حين تنكَّر الصالح أيوب، الفائز بعرش مصر، لليمين الذي أقسمه تحت قبة الصخرة، وحنث بوعده الذي تعَّهد فيه دعم مساعي حليفه الناصر داود لاستعادة عرش دمشق.

وردًّا على ما أبداه الصالح أيوب من غَدْرٍ بحليفه، أعلن الناصر داود، المغدور به، تركه لهذا التحالف، وأعلن انضمامه للتحالف المعادي الذي كان الصالح إسماعيل، خصمُ الأمس، يقف على رأسه.[25]

ولعل في هذه التقلبات السريعة والمفاجئة التي كانت تعتري مواقف الأطراف الأيوبية الضالعة في لعبة الصراعات المحمومة على السلطة وكراسي الحكم، ما يدلّل على هشاشة تلك التحالفات التي كانت تحركها أمزجة أمراء الأسرة المحكومة في الغالب، للمتغيرات السياسية الطارئة والمتسارعة، فكانت سرعان ما تنَشأُ وسرعان ما تفسخ وتختفي.

بانضمام الناصر داود للمحور الدمشقي، قويت آمال الصالح إسماعيل رأس هذا المحور، للقضاء على خصمه الأكبر الصالح أيوب، أو لإضعافه على الأقل. ولذلك سعى مجددًا لاستقطاب الدعم الصليبيّ تقويةً لِخطَّته في قهر خصمه. ولمّا كان الصالح إسماعيل قد استنفذ وسائل الإغراء التي كانت متاحة آنذاك لعرضها على الصليبيين، فإنه لجأَ لاستخدام آخر ورقةٍ يخطر على بال مسلم أن يقامر بها ويستخدمها لتحقيق أهدافه السياسية، كونها من المحرمات الدينية، وهي ورقة الحرم القدسي الشريف. ولكن هذا الملك المسكون بهوس الفوز وبكل ثمن تجرأ على المحرّمات وعرض على الصليبيين السيطرة التامة على بيت المقدس بما فيه المزارات؛ أي بمعنى أن تشمل سيطرتهم على الحرم الشريف، معالمه ورموزه، وعلى رأسها المسجد الأقصى وقبة الصخرة.[26]

مارس الصليبيون السيطرة الكاملة هذه المَرّة، على بيت المقدس ومزاراته، قولًا وفعلًا؛ حيث وثّق المؤرخ ابن واصل لهذه السيطرة الصليبية التّامّة على الحرم الشريف، فسجّل ما شاهدته عيناه حين مَرّ بمدينة القدس عندما كان في طريقه من دمشق إلى القاهرة فكتب يقول: "وسافرت في أواخر هذه السنة (641هـ/1243) إلى الدّيار المصرية ودخلت البيت المقدّس، ورأيت الرّهبان والقُسوس على

الصخرة المقدّسة وعليها قناني الخمر برسم القربان، ودخلت الجامع الأقصى وفيه جَرسٌ معلّق. وأُبْطِل بالحرم الشريف الأذان والإقامة".[27]

الصالح أيوب والتحرير الثالث لمدينة القدس:

دخلت سنة 641هـ/1243 للميلاد ومحور دمشق يستند إلى تحالف أمراء الشّام الأيوبيين مع صليبيتي الأراضي المقّدسة في فلسطين وغيرها. وهو التحالف المناوئ لملك مصر الصالح نجم الدين أيوب، الذي سبق وفقد حليفه الوحيد، الملك الناصر داود وبات وحيدًا ليس له حلفاء.[28] وكان الصالح أيوب في هذا التاريخ يتوقع الغزو الكبير الذي كان يدبّره تحالف الشاميين والصليبيين ضد مصر للإطاحة بعرشها.

صحيح أن ملك مصر حاول الاتصال بالصليبيين واستمالتهم للتحالف معه ويتركوا تحالفهم مع الشاميين، ولكن لم يكن لديه شيء يغريهم به، بعد أن أعطاهم الشاميون كلّ ما كانوا يطمحون إليه في القدس وفي فلسطين، بل كانوا في الوقت نفسه يعلّقون آمالهم على أمراء الشام عساهم يحققون مطامعهم في أرض مصر. ولذلك فقد باءت محاولات الصالح أيوب السابقة بالفشل.

ولمّا باتت آفاق التحالف بين الصالح أيوب وبين أيّ من القوى السياسية في بلاد الشام مسدودةً، فإنه لم يجد بُدًّا من التوجّه نحو المشرق ليستعين بالعساكر الخوارزمية الذين تحولوا إلى مقاتلين من المرتزقة، يؤجّرون سيوفهم لكل من يُغلي الثمَن، بعد أن انهارت إماراتهم التي كانوا أقاموها في حوض الفرات الشرقي ومنطقة الجزيرة.[29]

ما كادت دعوة الصالح أيوب تصل إلى قادة العساكر الخوارزمية حتى اندفع آلاف مقاتليهم وفرسانهم نحو بلاد الشام بعد أن عبروا نهر الفرات غربًا، فاجتاحت حشودهم كل من صادفوه من مدن ومواقع وقلاع. ولما اقتربوا من مدينة دمشق تجنبوا مهاجمتها وانحرفوا عنها واتجهوا جنوبًا نحو فلسطين، فدخلوا طبرية ونابلس، ومنها اتجهوا صوب مدينة القدس، فبذلوا سيوفهم فيمن بقي منها من العسكر الصليبيين، ولم ينجُ من سيوفهم إلا النساء والأطفال، ثم اقتحموا كنيسة القيامة فنبشوا قبور المدفونين فيها والمقبرة التي يعتقد أن المسيح كان مدفونا بها. وبعد أن انتهوا من القدس وطهروها من العناصر الصليبية توجهوا نحو غزّة ودارت معركة على مقربة منها ضد جيوش المتحالفين من عساكر الشام وجيوش حلفائهم من الصليبيين حتى أبادوا غالبيتهم وقُدّر عدد قتلاهم بعشرات الآلاف.

وبهذا الانتصار الذي أحرزه عسكر الخوارزمية عادت كثير من المدن الفلسطينية التي كان يستولي عليها الصليبيون، وعلى رأسها مدينة القدس مطهرة من المحتلين من الفرنجة الصليبيين لتصبح جزءًا من مملكة الصالح أيوب الأيّوبية.[30]

الملاحظات:

1. أبو الفداء، **المختصر في تاريخ البشر**، (دار المعرفة للطباعة والنشر)، بيروت، (دون تاريخ) ج3 ص 138-937؛ قارن أيضًا: ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرّج **الكروب في اخبار بني أيوب**، (تحقيق: حنين محمد ربيع)، (مطبعة دار الكتب)، القاهرة، 1972، ج3 ص 206، المقريزي، احمد بن علي، **كتاب السلوك لمعرفة دولة الملوك** (تصحيح: محمد مصطفى زيادة)، لجنة التأليف والترجمة والنشر)، الطبعة الثانية، 1956، ج1 (1)، ص 222-221.

- نشأ خطر الخوارزمية الذي كان يخشاه الملك الكامل، بعد الاجتياح المغولي الذي قاده الإمبراطور جنكيز خان لمشرق العالم الإسلامي إبان العقد الثالث عشر بين السنوات 1222-1220. حيث أطاح الغزو المغولي بين ما أطاح، بدولة خوارزم شاه، ففرّ الملك الخوارزمي السلطان جلال الدين منكبرتي إلى بلاد الهند بعد أن تفرقت قواته أيدي سبأ. ولمّا انكفأ القائد المغولي متجهًا إلى أواسط آسيا، عاد السلطان الخوارزمي جلال الدين من منكبرتي، شاه خوارزم واتجه نحو بلاد فارس حيث التفت من حوله فلول جيوشه وعساكره فنجح في إنشاء دولته من جديد وجعل من مدينة أصفهان الإيرانية عاصمة لدولته الناشئة. ثم انطلق منها لتوسيع نفوذه، فبسط سيطرته على تبريز وعلى هَمَدان، ومَدّ نفوذه على إقليم خوزستان أو ما يعرف بعراق العجم حتى أنه شكّل تهديدًا مباشرًا على بغداد عاصمة الخلافة العباسية واستولى على بعض أقاليمها مثل مدينة بعقوبة وضواحيها. ثم استولى على إمارة ماردين وانطلق يهاجم أقاليم جورجستان. وهنا استشعر ملوك بني أيوب خطر الملك الخوارزمي لمجاورة جورجيا وماردين للأقاليم الشرقية لمملكة الأشرف موسى بن العادل الأخ الشقيق للملك الكامل ملك مصر وللمعظم عيسى ملك دمشق الشام. فكان ذلك مثار التهديد الذي أقلق الملك الكامل. انظر: **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (1) ص -215 216، قارن: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (دار الكتاب العربي)، الطبعة الرابعة، بيروت، 1983، ج9 ص 355، ص 368-366؛ قارن كذلك: **مفرج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج4 ص 146-143، ص 155-148؛ قارن أيضًا: سعيد عاشور، **الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد**

العربي في العصور الوسطى، (مكتبة الأنجلو المصرية)، الطبعة الثانية، القاهرة، 1971، ج2 ص 998، (حاشية رقم 3).

** فريدريك الثاني ينتمي إلى أسرة هو هِنْشتاو فِن الألمانية الأصل التي حكمت الإمبراطورية الرومانية المقدسة منذ 1183 وحتى 1254. وقد أخذت هذه الأسرة اسمها من أسم قلعة كانت لهم عرفت باسم شتاوفِن في مقاطعة شفابيا، ولذلك كانت تدعى أحيانًا باسم الأسرة الشفابية. ويأتي ترتيبه السادس بعد ملوك الأسرة. وكان هذا الإمبراطور ملكًا على صقلية بالإضافة إلى تسلمه منصب الكرسي الإمبراطوري. وقد نشأ فردريك الثاني في جزيرة صقلية وتربّى في المناخ الثقافي لهذه الجزيرة الذي كان مزيجًا من الثقافة البيزنطية والثقافة العربية الإسلامية، وكان من بين السياسيين المثقفين في أوربا، وانصبّت اهتماماته بالفلسفة واللاهوت وعلى الكلام والشعر، وكان يجيد عدّة لغات من بينها اللغة العربية، واعتبره البعض أعجوبة الدنيا. وذاع صيته في المشرق العربي لتميّزه وشهرته، فوصفه مؤرخ الدولة الأيوبية ابن واصل بأنه كان ملكًا فاضلًا للحكمة والمنطق والطب. راجع كتاب **الحركة الصليبية**، مصدر سبق ذكره، ج2 ص 996-995؛ وانظر: **مفرج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج4 ص 234 وانظر أيضًا:

Kantorowicz Ernest, **Fredrick the Second**, London, 1931, pp. 393-395; Bryce James, **The Holy Roman Empire**, London, 1906, pp. 203-204.

2. **المختصر في تاريخ البشر**، مصدر سبق ذكره، ج3 ص 129؛ قارن أيضًا: ابن الوردي عمر بن مِظفرّ، **تاريخ ابن الوردي** (دار الكتب العلمية)، بيروت 1996، ج2 ص 139؛ **مفرج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج4 ص 95؛ **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (1) ص 207؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، (مكتبة المعارف)، الطبعة الثالثة، بيروت، 1980، ج13 ص 95، وانظر أيضًا عاشور، **الحركة الصليبية**، مصدرسبق ذكره، ج2 ص 975-974.

3. حول صلح الرّملة، الذي عقد بين صلاح الدين والصليبيين راجع: خليل عثامنة، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، 1516-1187**، (مؤسسة الدراسات الفلسطينية) بيروت، 2004، ص 117-116؛ قارن أيضًا: عاشور، **الحركة الصليبية**، مصدر سبق ذكره، ص 899-898.

4. **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، مصدر سبق ذكره، ص 132-129.

5. ابن ابي شامة، الذيل على الروضتين، (تحقيق: السيد عزّت العطار الحسيني)، طبعة دار الكتب، القاهرة، 1947، ص 116-115 قارن أيضًا: النّويري، احمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب). الجزء التاسع والعشرون: تحقيق: محمد ضياء الدين الريّس، القاهرة، 1992، ج29 ص 94-93؛ الاتابكي، ابو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، (طبعة مصورة من طبعة دار الكتب)، ج6 ص 245-244؛ **البداية والنهاية**، مصدر سبق ذكره، ج13 ص122؛ **مفرّج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج4 ص 32؛ **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (1)، ص 204.

6. سعيد عاشور، الإمبراطور فريدريك الثاني والشرق العربي"، **المجلة التاريخية المصرية**، عدد: 11 (1963)، ص 213-195؛ قارن أيضًا: عاشور، **الحركة الصليبية**، مصدر سبق ذكره، ج2 ص 995-992.

7. عاشور، **الحركة الصليبية**، مصدر سبق ذكره، ج2 ص 1001-1000؛ وانظر أيضًا: Kantorowicz, ibid., p. 146.

8. **مفرّج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج4 ص 234؛ قارن أيضًا: **الكامل في التاريخ**، مصدر سبق ذكره، ج9 ص 380-379.

9. عاشور، **الحركة الصليبية**، مصدر سبق ذكره، ج2 ص 1005.

10. **مفرج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج4 ص 235-234؛ قارن: **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (1) ص 224، ص 228.

11. Kantarowicz, ibid, 185؛ قارن أيضًا: عاشور، **الحركة الصليبية**، مصدر سبق ذكر، ج2 ص 1008-1007.

12. عاشور، **الحركة الصليبية**، مصدر سبق ذكره، ج12 ص 1011-1009؛ قارن ايضًا **مفرج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج4 ص 243-241؛ **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (1) ص 230. أما أهم الاعتبارات السياسية التي أثرت في موقف الملك الكامل، ودعته إلى الموافقة على تسليم المدينة فكانت كما يلي:

1- ان نزاعة مع الملك الناصر داود، ابن اخيه، ما زال محتدمًا لم يحسم بعد.

2- التهديد الذي يشكله السلطان جلال الدين مكبرتي، شاه خوارزم ما زال قائمًا بسبب تجديد التحالف بينه وبين الناصر داود وريث المعظم عيسى.

3- الخطر المحتمل الذي قد يشكله الإمبراطور فردريك الثاني، إذا ما قام بتأليب الأمراء الصليبين في بلاد الشام ليشكلوا جبهة ثالثة ضد الملك الكامل، انظر: **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، مصدر سبق ذكره، ص 140.

13. **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، مصدر سبق ذكره، ص 34-32.

14. **مفرّج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج4 ص 243.

15. **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (1) ص 231.

16. **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، مصدر سبق ذكره، ص133-132.

17. مفرّج الكروب، مصدر سبق ذكره، ج4 ص 246-245؛ قارن: **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (1) ص 233؛ قارن أيضًا: **الذيل على الروضتين**، مصدر سبق ذكره، ص 154؛ **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (1) ص 231؛ **المختَصَر**، مصدر سبق ذكره، ج3 ص 142-141؛ **تاريخ ابن الوردي**، مصدر سبق ذكره، ج2 ص 147؛ **البداية والنهاية**، مصدر سبق ذكره، ج13، ص 123- 124، **الكامل في التاريخ**، مصدر سبق ذكره، ج9 ص 378؛ **النجوم الزاهرة**، مصدر سبق ذكره، ج6، ص 272.

18. عاشور، **الحركة الصليبية**، مصدر سبق ذكره، ج2 ص 1034-1033.

19. **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، مصدر سبق ذكره، ص 144-142.

20. مجير الدين الحنبلي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل**، (دار الجيل)، بيروت، 1973، ج2 ص 6-5؛ قارن أيضًا: **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (2) ص 292-291؛ ابن واصل، **مفرّج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج5 ص 247-246؛ الكُتيبي محمد شاكر، **فوات الوفيات**، (تحقيق: إحسان عبّاس)، دار صادر، بيروت، 1973، ج1 ص 424-423؛ **نهاية الأرب**، مصدر سبق ذكره، ج29 ص 254-253؛ قارن أيضًا: **تاريخ ابن الوردي**، مصدر سبق ذكره، ص 164؛ **المختَصَر**، مصدر سبق ذكره، ج3 ص 165. وذكرت أبيات ابن مطروح، في كتاب **زُبْدَة الفِكْرة**: انظر ذلك:

الدَّواردار، ركن الدين بَيْبَرس المنصوري، **زبْدَة الفِكرَة في تاريخ الهجرة**، (تحقيق: دونالد س. ريتشارد)، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1988، ص9. وعن الشاعر ابن مطروح انظر: **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (2)، ص 382، (الحاشية رقم 2).

21. **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، مصدر سبق ذكره، ص 144-143.

22. **مُقّرج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج5 ص 259-256؛ قارن أيضًا: **المختصر**، مصدر سبق ذكره، ج3 ص 166؛ **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 (2)، ص 299-296؛ تاريخ ابن الوردي، مصدر سبق ذكره، ج2 ص 165؛ **نهاية الأرب**، مصدر سبق ذكره، ج29 ص 265-263؛ **النجوم الزاهرة**، مصدر سبق ذكره، ج6 ص 322.

23. **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 303؛ **المختصر**، مصدر سبق ذكره، ج3، ص169؛ **النجوم الزاهرة**، مصدر سبق ذكره، ج6 ص 322؛ **الأنس الجليل**، مصدر سبق ذكره، ج2 ص 6.

24. **المختصر**، مصدر سبق ذكره، ج3 ص 169؛ قارن: **الذيل على الروضتين**، مصدر سبق ذكره، ص 170؛ **السلوك**، ج1 ص 305.

25. **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 ص 299، ص 309؛ قارن أيضًا: **مفرج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج5 ص 272-271؛ **المختصر**، مصدر سبق ذكره، ج3 ص 166.

26. **مفرّج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج5 ص 322؛ **المختصر**، مصدر سبق ذكره، ج3 ص172؛ **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 ص 315؛ **النجوم الزاهرة**، مصدر سبق ذكره، ج1 ص315؛ **النجوم الزاهرة**، مصدر سبق ذكره، ج6 ص 322.

27. **الأنس الجليل**، مصدر سبق ذكره، ج2 ص6؛ قارن أيضًا: **مفرّج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج5 ص 333؛ **المختصر**، مصدر سبق ذكره، ج3 ص 172؛ **النجوم الزاهرة**، مصدر سبق ذكره، ج6 ص 323-322.

28. **مفرّج الكروب**، مصدر سبق ذكره، ج5 ص 323.

29. عاشور، **الحركة الصليبية**، مصدر سبق ذكره، ج2 ص 1044، **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 ص 303.

30. **السلوك**، مصدر سبق ذكره، ج1 ص 318-316؛ قارن: **مفرج الكروب**، مصدر سبق ذكره ج5 ص 339-336؛ **المختصر**، مصدر سبق ذكره، ج3 ص 173-172؛ **النجوم الزاهرة**، مصدر سبق ذكره، ج6 ص 324-323؛ **الذيل على الروضتين**، مصدر سبق ذكره، ص 174؛ **نهاية الأرب**، مصدر سبق ذكره، ج29 ص 306-305؛ **البداية والنهاية**، مصدر سبق ذكره، ج13 ص -164 165.